

الجانب الشكلي والإخراج في المعجم المدرسي الموجه للتلاميذ

أ. هشام قيراط

جامعة محمد بوقرة بومرداس

الملخص:

يؤدي الجانب الشكلي للمعاجم وكيفية إخراجها دورا مهما في إيضاح دلالات الكلمات وتسهيل فهمها من جهة وفي استهواء التلميذ وجلب انتباهه لاقتنائها من جهة أخرى، فأول ما يقع عليه نظر التلميذ هو المظهر الخارجي. ويركز البحث على دراسة عناصر المعجم التالية: (تصميم الغلاف؛ الألوان؛ الورق؛ الكتابة؛ الصور والرسوم؛ حجم المعجم). ودراسة آثارها على التلميذ (الإيجابيات والسلبيات)

درسنا عناصر البحث المشار إليها آنفا من خلال عينة مكونة من تسعة معاجم مدرسية طبع ثلاثة منها في لبنان وطبع أربعة منها في الجزائر وطبع اثنان في فرنسا.

Abstract

The appearance aspect of dictionaries and how to release them play an important role in clarifying the meaning of words and to facilitate their comprehension on the one hand, and to bring the pupils' attention to acquire them on the other. On this basis, I decided to treat the appearance of the dictionary and the way of its realization and the contribution of this important aspect in the

production of integrated dictionary in terms of appearance and content. Taking into account the aesthetic aspect on one hand and costs on the other hand.

Is the cost and the aesthetic aspect affect the marketability of the dictionary? And how the realization and the printing may help to bring pupils to get it?

To answer these questions I'll try to carry out a study in which I treat the following elements: (cover design; color; paper; writing; pictures and drawings; the size of the dictionary.)

I have tried to search the elements above mentioned through a nine-school dictionaries samples, three of them printed in Lebanon, four printed in Algeria and two printed in France.

مقدمة:

خصت المعاجم بكثير من البحوث والدراسات، وقليل منها اهتم بشكله، فرأيت أن أتناول شكل المعجم وإخراجه وإسهام هذا الجانب المهم في إنتاج معجم متكامل من حيث الشكل والمضمون. مع مراعاة الجانب الجمالي من ناحية والتكاليف من ناحية أخرى.

فهل التكلفة والجانب الجمالي يؤثران على رواج المعجم؟ وكيف يساعد الإخراج والطباعة على جلب التلاميذ إليه؟
للإجابة على هذين السؤالين سأحاول القيام بالدراسة التالية :

الطباعة والإخراج:

إنّ العلاقة المتبادلة بين الشكل والمضمون تعدّ من القضايا الحيوية... وقد عبر كثير من الفلاسفة والفنانين منذ زمن أرسطو عن رأيهم القائل بأنّ الجانب

الجوهري في الفن هو الشكل والصورة، وإنّ المضمون هو الجانب الثانوي ويرى هؤلاء المفكرون أنّ الشكل الخالص هو جوهر الواقع⁽¹⁾

"... ومن خصائص المعجم الحديث الاعتماد على المخبر، والمظهر معا، فأما المخبر فيتمثل في الجانب العلمي واللّغوي ... وأما المظهر فهو الجانب التقني، والفني الذي يعد قالب والوعاء، والكيفية، والمنهج الذي تقدم فيه هذه المادة إلي مستعملي المعجم، ويدخل في هذا الباب الأخير كل ما يتعلق بوسائل التهيئة، والطباعة والتمقيق⁽²⁾ presentation"

فلا أحد من المهتمين بالعلم والفن ومن أصحاب المهن والحرف ينكر دور شكل الأشياء وأهميته في تنسيق عناصرها وإظهارها في المظهر المناسب، والمعجم المدرسي أيضا لا يشذ عن هذه القاعدة، فهو كلّ متكامل من المتن (المحتوى) الذي يرجع للمؤلف (المعجمي) وشكل الطباعة والإخراج اللذين يعدان من مهام الناشر وتقنيته، إذ يكمن عملهم في تحويل كتابة المعجمي إلى حروف طباعيه، تنسخ على أوراق، يدققها مصححون لغويون وينقحونها من الأخطاء.

فكيف يسهم شكل المعجم في الإقبال عليه وترغيب مستعمله في اقتنائه؟ لقد بينت العديد من التجارب أن لشكل الكتاب عموماً دوراً بارزاً في استهواء التلميذ، وجذب انتباهه لاقتنائه، ومن ثمة استعمال « ولا ننسى أن المظهر الجميل من كل شيء يترك أثراً جميلاً في النفس، ربّما يطول أمداً مُكوّنه ورسوخه في الذاكرة ومكوّث ورسوخ ما يتعلق به »⁽³⁾

وعلى هذا الأساس رأينا ضرورة الحديث عن شكل المعجم، طباعته وإخراجه، فلا شك أنّ المعجم المدرسي الذي توافرت فيه كل الشروط الخاصة بالطباعة والإخراج يُسهم إسهاماً فعّالاً في نيل ثقة التلميذ به، أما إخراج المعجم إخراجاً يفتقر إلى عنصر الإتقان والإثارة والتشويق والجمال، فإنه يؤدي حتماً إلى انصراف التلميذ عنه، وربما لا يتصفحه أصلاً، وهذا ما يفسر تحقيق بعض

المؤلفات لعدد كبير من المبيعات، ونجاحها في السوق، وحتى في طلب التلاميذ لها، واستعمالها رغم تواضع مستواها.

وقد يعد المعجم إعداداً جيداً، ويتم انتقاء مادته بطريقة دقيقة، وتحريره بلغة سليمة واضحة ومناسبة للمرحلة الموجه إليها، وانتقاء الصور والرسوم التوضيحية للكلمات المبهمة والغامضة انتقاء صائباً، لكن لما يخرج إلى الطباعة فإن هذه الأخيرة تفسد العديد من محاسنه، وتميت الكثير من جهد مؤلفه كأن يُطبع في ورق هش رديء، وبنط صغير، واسطر متراسة، لا يستطيع التلميذ قراءتها براحة ووضوح، وغلافه غير مصمم تصميمًا جيداً، أو ان مسك غلافه وأوراقه غير محكم، فتتفصل أوراقه بعضها عن بعض منذ أول استعمال.

وقد يهمل الجانب الشكلي بحجة أن المحتوى الجيد يغني عن الشكل، ونحن نقرُّ بأن هذا الأخير ثانوي مقارنة بالمحتوى الذي يعتبر الأهم، لكنه لا يظهر مباشرة، فأول ما يقع نظر التلميذ عليه ويجذبه هو غلاف المعجم، ومظهره الخارجي، أي الأمور المظهرية الخاصة بالطباعة والإخراج، مما يوضح أهميتها في التأليف المعجمي.

لهذا أكدت ندوة الكتابة للطفل العربي⁽⁴⁾ في توصياتها التي خرجت بها إلى:

- أهمية عنصر التشويق ... والاعتناء بالإخراج الفني والشكل العام للكتاب.
- دعوة دور النشر العربية إلى الاهتمام بنشر المواد المقدمة للطفل العربي عبر النشر الورقي والإلكتروني بالمستوى الذي يحقق لها المنافسة مع ما تنتجه الأمم الأخرى؛ والاستفادة من تجربة هذه الأخيرة.

- ضرورة أن تُواكب المطبوعات المتعلقة بثقافة الطفل التطور التقني، وأن يُعمَلَ على تعويد الطفل العربي القراءة والإطلاع من خلال مُغريات مفيدة تجذبه إلى الكتاب.⁽⁵⁾

«...لقد أصبح من السهل في ضوء التطورات الكبيرة التي تشهدها الطباعة وصناعة الكتاب في العصر الحديث، إخراج معجم جيد الورق، جميل الطباعة، ممتع من حيث مظهره، وشكله، ترتاح الأنظار لحروفه، وكلماته، وتأنسُ النفوس بمطالعتة، والرجوع إليه، وتشجع على البحث فيه»⁽⁶⁾.
وبحكم هذا التطور الذي عرفته الطباعة، وسهولة إخراج الكتب إخراجاً فنياً مُتميزاً نتساءل:

هل المعاجم المدرسية المنتشرة والمتداولة تستجيبُ شكلاً لحاجة التلاميذ النفسية والذوقية؟
ولإجابة عن هذا التساؤل نقوم بدراسة عينة من المعاجم المدرسية من حيث شكلها وإخراجها، وطباعتها، من خلال العناصر التالية:

1. تصميم الغلاف.
2. نوع الورق ولونه.
3. حجم بنط الكتابة ومدى وضوحها، وكيفية عرض الهوامش، والمسافة أو البياض بين السطور والكلمات.
4. الصور والرسوم.
5. الألوان.
6. حجم المعجم.

1. الغلاف:

غلاف المعجم المدرسي، بل غلاف أي كتاب يُبصرُهُ التلميذ، ويتعامل معه، قد يحفزهُ للإقبال عليه بشوق، وقد لا يكون كذلك، فيُقبل عليه مُكرهاً نافراً منه. فالأثر الذي يُحدثه الغلاف في النفس ينعكس مباشرة على موقف التلميذ منه ورد فعله تجاهه، فيرغب فيه أو عنه، ومن هذا المنطلق تتجلى أهميته.

فإذا كان غلاف المعجم جذاباً يشير لا محالة لدى التلميذ رغبة في استعماله، وإذا كان غير ذلك، فهو ينفر منه ويعزف عنه حتماً. وبالإضافة إلى تأثير الغلاف في الاستعمال فإنه يؤثر قبل ذلك في ترويجه، ونسبة اقتنائه، يقول علي بحسون: «...مما لا شك فيه أن الغلاف يساهم بأكثر من 25 ٪ في عملية بيع الكتاب، فالذي يجذب القارئ الغلاف، والمحتوى ... فإن لم يكن أنيقاً لا يمكن أن يسوق بشكل جيد»⁽⁷⁾

فعندما يختارُ المقتني أيَ المعاجم يختار، نجده بعد تردد، ينساق إلى الغلاف فيختار الأجود والأكثر جاذبية، فالغلاف - في نظره - هو الذي يُعطي فكرة موجزة عن المعجم، ودار النشر التي طبعته، ومدى إمكانياتها، وتفوقها في عرض المادة.

ويرى علي بحسون أن الغلاف لم يكتسب كل هذه الأهمية من قبل، لكن التطور الذي عرفه العالم مؤخراً هو الذي اقتضى ذلك، ويرى قتيبة شيخاني أن السوق - في فترات سابقة - كان أفضل مما هو عليه الآن، إذ لم يكن يُعَار للغلاف اهتماماً كبيراً، للأرضية لون وللعنوان لون آخر.

ويرجع سبب الاهتمام بالغلاف إلى التطور التكنولوجي من جهة، وازدياد عدد الناشرين والكتب المطبوعة من جهة أخرى⁽⁸⁾ أي بدافع المنافسة.

ومما يدل على أن الغلاف من أهم العناصر التي تجذب المتلقين لاقتناء الكتاب، وأن بعض المطبوعات لم تعرف رواجاً كبيراً أو مبيعات مُعتبرة، ولما أعيد طبعها وغير تصميم غلافها حققت ضعف ما حققته في الطبعات السابقة.

يُراعى في تصميم غلاف المعجم أن يكون جذاباً ملائماً للمستوى الدراسي المستهدف منه، وللمادة اللغوية الموجودة فيه، ويمكن الاكتفاء بغلاف جميل، قوي، خفيف الوزن يُحافظ على نظافته، وأناقته.

وبما أن المعجم وسيلة تربوية مُدَاوَمٌ على استعمالها، وتبقى الحاجة إليه مدة طويلة، يجب أن يكون الغلاف متيناً يُقاوم الصدمات، والاستعمالات المتكررة والمستمرة، فهو ليس كالكتاب المدرسي الذي يغيّر كل سنة.

لقد تعدى الغرب مرحلة الاهتمام بانتقاء الغلاف والورق وحبر الطباعة إلى أمور أخرى لم تخطر ببال الأجيال السابقة حيث ذكر أحمد نجيب أنهم يقومون بتجارب علمية

« ... في مجال قياس مدى تحمل كتب الأطفال للاستهلاك ... ومن طريف ما يذكر في هذا الشأن، ما قام به بعض الناشرين في أمريكا بوضع هذه الكتب في آلة الغسيل الميكانيكية، دون إضافة مياه، وتركها تتخبط لمدة ساعة، وذلك لاكتشاف نقاط الضعف في عمليات التدبيس، والتغليف، أو في الورق، وحبر الطباعة.. »⁽⁹⁾

وهذه الأهمية التي يحظى بها الغلاف لا تجيز المغالاة في العناية به بغير ضوابط وأسس مدروسة، كأن تكثر فيه الألوان والأشكال. بل يجب أن يكون مشحوناً بدلالات متعددة، تقدم ثقافة بصرية لمستعمل المعجم، فلا ينبغي أن يكون الغلاف غاية في حد ذاته، إذ الهدف منه هو تأدية وظائف سيميائية، ويجب أن يشمل وجه غلاف المعجم المدرسي على:

- العنوان.
- اسم المؤلف أو المؤلفين إذا كانوا جماعة.
- اسم دار الطبع والنشر التي تولت طبع المعجم.
- الرقم التسلسلي للنسخ المطبوعة.
- الفئة السنّية أو المرحلة التعليمية الموجة إليها المعجم.
- عدد المداخل.
- ويشترط أن يكون تصميمه غير مُعقّد، وملائماً لحاجيات التلميذ النفسية.
- أن تكون ألوانه متناسقة.

- أن يكون متينا مُحكم المسك حتى لا يتعرض للتلف بسرعة وبمقارنة بسيطة بين أغلفة المعاجم المدرسية العربية، ونظيرتها الفرنسية يتضح أن هذه الأخيرة تُولي الغلاف عناية خاصة، وتتفوق في تصميم أغلفتها تصميماً يراعي محددات نفسية التلميذ وميولاته، وهذا راجع إلى أن دور النشر الفرنسية تُشغل متخصصين في الطباعة، وتصميم الغلاف، العارفين بنفسية الصغار والكبار ورغباتهم وأشار سبانو (Spano) إلى "... أن دور النشر في لندن تعتمد على فنانين، ولهذا تأتي النتائج أعظم بكثير..."⁽¹⁰⁾ وهذا ما تفتقده دور النشر العربية فتأتي أغلفة كتبها ومعاجمها دون دراسة مسبقة وبلا ضوابط وقواعد علمية، فلا يوجد أساس لتحديد الشكل الخارجي للكتاب، ولا الألوان المستعملة فيه، فهي ترجع إلى الناشر الذي يضعها كيفما يشاء، وقد بين مدير النشر "بدار هومة" للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر أنه لم يصادف بعد مؤلفاً حدد له مسبقاً كيفية إخراج مؤلفه، فكل المؤلفين يتركون للدار حرية التصرف والاختيار التامة، وهذا ما يعكس اختلاف أغلفة المعاجم العربية من حيث ألوانها وتصميم أشكالها، وهذا دليل على عدم وضع الغلاف بطريقة علمية، أو منهجية، ويبين ذلك الجدول التالي:

المعجم	طريقة تصميم الغلاف
القاموس الجديد للطلاب	لون أرضية الغلاف أسمر فاتح (beige) كتب عليه المعلومات باللون الأزرق المظلم (bleu sombre)
رائد الطلاب	لون أرضيته أزرق سماوي (bleu ciel)، تمت الكتابة عليه بلونين، الأزرق القاتم، والأسود. وفي أسفل الغلاف مُربعات حمراء.
الرائد الصغير	أرضية الغلاف بنية، كتب عليها بلون "القريدس" (crevette) والأبيض، ونجد في أسفل الغلاف شكل قريميد،

	ومربّع كُتب بداخله دار النشر.
الهُدى	أرضية الغلاف بيضاء، نجد فيها سطرين أفقيين كُتب بداخلهما عنوان المعجم، وفي وسط الجزء الأيمن من الغلاف نجد إطاراً آخر بنفسي كُتب بداخله قاموس عربي - عربي باللون الأصفر، وبداخل الإطار أيضاً مُعين كتب فيه اسم دار النشر ومكانه.
الوجيز	لون الأرضية أخضر كتب عليه باللون الذهبي، ونجد فيه أيضاً رمز مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
لاروس المعجم العربي الحديث	قسم غلافه إلى قسمين، القسم الأول أخضر اللون، كتب في النصف الأعلى باللون الأبيض «المعجم العربي الحديث» وفي وسطه بلون أخضر فاتح "لاروس". أما النصف الأسفل فهو أزرق كتب عليه بخط كبير وشكل مُغاير للكلمة نفسها أي "لاروس" بلون أسود، فصل بين الجزء ين - الأعلى والأسفل - بخط أبيض
الواي	أرضيته برتقالية كُتب عليها باللون الأبيض.
الأسيل القاموس العربي الوسيط	رسمت على الغلاف قطعة قماش، ألوانها متعددة (الأصفر - الأحمر - الأخضر - الأزرق) كتب عليها باللون الأصفر، وتحتة خط أزرق، وكتب «القاموس العربي الوسيط» باللون الأبيض.
المُفضّل	أرضية غلافه سوداء، نجد شريطاً أحمر وفي أعلى الغلاف اسم المؤلف باللون الأبيض، وتحتة مباشرة نجد شريطاً رمادياً كتب عليه عنوان المعجم وأسفله اسم دار النشر.
الأداء	لون الأرضية وردي، كتب عليه العنوان باللون الأصفر في مساحة نصف دائرية خضراء، وتحتة كتب «القاموس العربي

الشامل" باللون الأسود، و "عربي- عربي" باللون الأزرق، وفي جنب العنوان نجد صورة رجل مُعَمَّم، وبيده سيف، يمتطي فرساً، ويحمل راية بيده الأخرى رُسمَ عليها هلال.	
مجلد لون أرضيته أبيض ناصع، عليه حشدٌ من الصُور الصغيرة (العُمران، الخضر، الفواكه، جسم الإنسان، بعض الحيوانات والطيور) وصورة كبيرة لتلميذ جالس بمكتبه يراجع دروسه. كتب عنوان "المتقن" باللون الأسود، وبخط كبير، وبارز. وفي ظهر الغلاف نجد مستطيلاً أزرق كتب عليه " لماذا المتقن؟"، وأسفله نجد مقتطفاً من المقدمة: يحدد سبب تأليفه، وأهم خصائصه ومميّزاته جواباً عن السؤال.	المتقن

نستنتج من خلال هذا الجدول أنّه لا توجد قاعدة معيّنة لتصميم أغلفة المعاجم المدرسية العربية، إذ تختلف في الألوان، والأحجام، والأشكال والكتابة... فلا نكاد نجد معجمين اثنين بنفس الألوان أو تصميم الأشكال، باستثناء تصميم غلاف "المتقن" الذي يُشبه إلى حدٍ بعيدٍ أغلفة المعاجم الأجنبية. ويؤكد ذلك ما ذكره المؤلفون في مقدمتهم أنّ المعجم "جديد في عالم القواميس يواكب التطوُّر في الألفية الثالثة" (11)

أما المعاجم المدرسيّة الفرنسيّة فهي التي تتشابه أغلفتها في طريقة تصميم الغلاف، والألوان المستعملة فيها، إذ نجد الألوان نفسها تتكرر في المعاجم التحضيرية المصوّرة، والأشكال أيضاً، وهي صور الحروف، الحيوانات والأطفال، الخضر والفواكه... أي الأمور الأساسيّة التي سيتعرّف عليها طفل هذه المرحلة من خلال المعجم الموجّه له.

أمّا معاجم دار "Hachette" فنجد التصميم نفسه، مع اختلاف في الألوان ودرجائه فقط، وهذا طبعاً حسب الشريحة الموجّه إليها المعجم.

فالمعجم المدرسي الموجّه للمرحلة السّنية بين 6 و 8 سنوات، نجد لون أرضيته أبيض، حتى يظهر أكثر، ويبرز ما كتب عليه، كما نجد فيه صورة فتاة وفتى يحملان على ظهرهما محافظ متوجهين إلى المدرسة، ويخط بارز "BENJAMIN" حتى يظهر أكثر.

أما المعجم الموجّه إلى الفئّة العُمرية بين 8 و 11 سنة، فنجد أرضيته حمراء، كُتب عليها باللون الأبيض (Dictionnaire Hachette)، وباللون الأصفر "junior"، ونستنتج أن هناك تقليصاً في درجة الألوان، وحجم الصور من مرحلة سنية إلى أخرى، ويتضح ذلك أكثر في المعجم الموجّه إلى الفئّة العُمرية التي تتراوح بين 9 و 14 سنة، حيث لون أرضيته أزرق قاتم، يظهر العُنوان باللون الأبيض "dictionnaire hachette" ووسط الكلمتين نجد كلمة "scolaire" باللون الأصفر، ولا نجد فيه صوراً إلا بعض الرموز الصغيرة للميادين التي تناولها المعجم في صفحات خاصة، والتي يبلغ عددها 256 صفحة، كما لا نجد فيها ألواناً كثيراً زاهية؛ فطبيعة الموضوع كما يقول فالح العنزي، هي التي تفرض لون الغلاف وتصميمه⁽¹²⁾ ونقطة أخرى مهمّة، وهي المعلومات الواردة في الغلاف، فنجد أنّ المعاجم المدرسيّة العربية لا يُدوّن عليها إلا العُنوان واسم المؤلف ودار النشر، كالمقاموس الجديد للطلّاب، رائد الطّلاب، الرائد الصغير، الهدى، المفضل، الوجيز والوافي وهناك المعاجم المدرسيّة التي أكتفت بوضع العُنوان، ودار النشر فقط ك: (لاروس المعجم العربي الحديث) ومعاجم دار الراتب (الأداء، الأسيل وأبجد)، فلا نجد فيها الفئّة التي وُجه إليها المعجم باستثناء "الرائد الصغير" الذي أضيفت في غلافه عبارة "معجم أبجدي للمُبتدئين"، ثم إنّ كثيراً من أغلفة المعاجم المدرسيّة العربية غير مقوّاة، رُخوة، تتمزق بالاستعمال الأوّل، أوراقها غير مُحكمة المسك، كما تفتقر إلى الجاذبية ومراعاة الذوق، أمّا المعاجم المدرسيّة الفرنسيّة، فإضافة إلى دقّة تصميمها وجاذبية ألوانها، وعناوينها البارزة، وإتقان مسك أوراقها، نجد معلومات أخرى

مدوّنة على الغلاف، كالمرحلة السّنية أو التّعليميّة الموجه إليها المعجم، وعدد المداخل، والرسوم التوضيحية، والخرائط والأشكال، واللوحات والملاحق، كما نجد أيضا نوع المعلومات اللّغوية المتوافرة في المعجم: (المترادفات، التضاد، المصطلحات العلميّة...) ومثال ذلك المعجم التحضيري: "Larousse des maternelles" حدّد المرحلة الموجه لها بـ (4 a 6 ans)، وعدد مداخله بـ 2000 مدخل (mots) و 1000 رسم (dessins) و 20 لوحة (planches).

2. الورق:

المعجم المدرسي كمؤلف يُطبع على الورق ولهذا يحتاج ويتطلب "أن يُنتقى له ورق جيد ناصع صقيل، لا ينضح فيه الحبر، ولا يكشف ظاهره عن باطنه، ولا تتفرّش الحروف على سطحه وان تُطبع الكلمات على هذا الورق طباعة تبرز معها الحروف والعلامات بنحو محدد مقبول.⁽¹³⁾

يختلف الورق المستعمل في طبع المعاجم المدرسيّة، ويتنوع أيضا، إذ نجد بعض المعاجم تستخدم الورق الأبيض الناصع، كما هو الحال في معجم "المفضّل" وهو متعبّ لأعصاب العين "...لما يعكسه في العادة من أشعة مشتته للبصر عند القراءة، يتبعثر فيها الضوء فيُتعبُ عين القارئ، لاسيما الحروف أو الكلمات حينما تكون باهتة، أو صغيرة".⁽¹⁴⁾

وهناك معاجم مدرسيّة أخرى استعملت الورق المائل إلى الصّفرة كمعجم "لاروس" المعجم العربي الحديث، وهو مريح للبصر إلى حد ما، ورقه صقيل، لاسيما ورق اللوحات فهو اصقل، وأملس من ورق المادة اللغوية، وهو يشبه - إلى حد ما - الورق المستخدم في "القاموس الجديد للطلاب" كما نجد الورق السّكري اللون، وهو ابيض لكّنه غير لامع، ومثاله ورق معجم "الوايف" المريح للبصر وورق معاجم دار الراتب و«...اللون الأصفر المائل إلى البياض أو (السّكري) غير اللامع أو (المطفأ)...يُمكن أن يكون أكثر هدوءاً وإراحة

للقارئ، وأكثر ملاءمة لطبيعة المعجم، ولما قد تتطلبه عباراته وكلماته الصغيرة شيئاً فشيئاً من تحديق القارئ أو إطالة نظره وتفتيشه...» (15)

كما يتنوع الورق المستعمل في المعاجم من حيث السمك، فنجد الورق السميك في معجمي "لاروس المعجم العربي الحديث" و"القاموس الجديد للطلاب"، والمُعتدل في "المعجم العربي الميسر" ومعاجم "دار الراتب" و"الوجيز"، ومن المعاجم التي استُخدم فيها الورق الرقيق نجد معجم "الهدى" وهو يشبه إلى حد بعيد ورق الجرائد، بل نستطيع القول أنَّ ورق الجرائد أفضل، لأن الكتابة في الجرائد لا تظهر على ظهر الصفحات المطبوعة في حين نجد ذلك واضحاً في معجم الهدى مما يُعطيه مظهراً منفرداً.

لقد بيّن لنا مدير النشر بـ "دار هومة" أنهم يستعملون نوعاً واحداً من الورق في طبع الكتب وهو "extra blanc"، وبيّن لنا أيضاً أنَّ أنواع الورق كثيرة، متفاوتة الثمن، ولا اعتبارات اقتصادية يُستخدم نوع واحد فقط، فثمن الورق ينعكس مباشرة على سعر الكتاب، وأنَّ الورق الجيد تكاليفه كبيرة تضطر دار النشر إلى طبع كمية قليلة من الكتب التي تكون غالية الثمن مما ينتج عنه عدم ذيووعها، وهذا مُخالف لهدف دار النشر، ولا يوافق رغبة المؤلف نفسه، إذ الغاية الأولى والأخيرة للمؤلف هو ذيووع مؤلفه، واقتناء الناس له، واستفادتهم منه، وترويج آرائه العلمية، وجهوده الفكرية، أما هدف دار النشر فهو تحقيق عدد مُعتبر من المبيعات.

وتختلف أوراق المعاجم المدرسية أيضاً من حيث إحكام المسك والتثبيت، فهناك المسوكة بطريقة جيدة (باستعمال الخيط أو السلك)، وأخرى غير محكمة تقتلع مع الوقت من مكانها، وتتورق بحيثُ ينفصل بعضها عن بعض، كورق معجم "المُفضّل". وبمقارنة بسيطة بين الورق المُستعمل في المعاجم المدرسية العربية والورق المُستعمل في المعاجم الفرنسية، يتَّضح أنَّ هذا الأخير مُنتقى بحيث يُناسب الكتابة والرُسوم الواردة فيها ويظهرها بجلاء، وهو أملس خفيف الوزن،

هادئ اللون، في حين تُهمل أغلب المعاجم المدرسيّة العربية ذلك باستثناء "المُتقن" و "مجاني الطلاب" اللذين يُشبه الورق المُستخدم فيهما إلى حد بعيد ذلك المُستخدم في المعاجم المدرسيّة الفرنسيّة .

إنّ نوعية الورق الجيّد تجعل الكتابة تبدو واضحة بارزة، والصُّور التوضيحيّة تؤدي دورها على أكمل وجه، كما أنّ تثبيت الأوراق بالخيط أو السلك يضمن دوام سلامة المعجم، فلا تتناثر أوراقه ويختل تركيبها وتصنيفها وقد يضيع بعضها، ممّا يترتب عليه عدم إجاد التلميذ بعض الكلمات التي يبحث عنها فيفقد ثقتَه في المعجم، ومن ثمة لا يعود إليه ظناً منه أنه ناقص أو غير مناسب. وليس من الضروري أن تكون أوراق المعجم المدرسي ذات جودة عالية، وإن كان مرغوباً فيه، لأنّ ذلك سيؤدي حتماً إلى غلاء ثمنه، ومن ثمة عدم اقتنائه، واستعماله، والحد المطلوب أن يكون معتدل الجودة، متوسط السمك هادئ اللون، حتى لا ينفر التلميذ منه وبالتالي يعزف عن استعماله.

وما قام به الجر خليل في معجمه " لاروس المعجم العربي الحديث" أمر محمود حيث استعمل للوحات والخرائط ورقاً صقيلاً أملساً وممتيناً، واستخدم فيها الألوان، في حين استخدم في المتن ورقاً معتدل الجودة، ولهذا السبب لم يستطع استخدام الألوان في الصور الواردة فيه، لأن طبيعة الورق المستعمل لا تناسب ذلك، فظهرت باللونين الأبيض والأسود فقط، ورغم ذلك يبقى " لاروس المعجم العربي الحديث " من بين أحسن المعاجم المدرسيّة في الطباعة، والإخراج. فمن بين الأمور التي حاول مُراعاتها في معجمه "...الإتقان في الإخراج والأناقة في الطباعة، والتزيين باللوحات العلميّة الملوّنة، وغير الملوّنة، واللوحات الفنية بحيث لا تقل قيمة المعجم الجمالية عن قيمته اللغوية والعلمية." (16)

3 الكتابة:

تُعتبر الكتابة أهم عناصر الإخراج، ويتعلّق بها كل من شكل الحروف، وحجمها (مقاسها)، طول السطر، عدد الأعمدة، ونسبة البياض بين الكلمات، والسطور. وينبغي على من يتكفل بطباعة المعجم أن يضع نُصب عينيه أنّ لحسن اختيار حجم الحروف دوراً أساسياً في رغبة التلميذ في استعمال المعجم، إذ يُسهّل عليه قراءته، ويريح بصره، ويضمن استعماله مدة أطول، « وتُقاس الحرف بالبنت، ويبدأ القياس في أعلى جزء من الزوائد العلوية إلى أدنى جزء من الزوائد السفلية ... وتتراوح أحجام حروف الطباعة بين 6 و 72 بنتاً... والبنت يعادل 72 نقطة من البوصة، وقد بدأ تقنين مقاس الحروف في فرنسا عام 1737... »⁽¹⁷⁾

يؤدي سوء انتقاء حجم الكتابة كاستخدام بنت صغير كما هو الحال في "المعجم الوجيز" و"رائد الطلاب"، إلى إتعاب حاسة البصر عند القراءة وإرهاقها، فحجم الكتابة في هذين المعجمين صغير جداً مما يتطلب تركيز النظر وتدقيقه، كما نجد صغر حجم الحروف أيضاً في معجمي "الوايف" و"لاروس المعجم العربي الحديث" وإن كان أفضل نوعاً ما، ممّا في سابقيهما، كما يُنفر صغر مقاس الحروف التلميذ والقارئ من المعجم، حتى إذا افترضنا أنّه يتصفحه مرّة فإنّه غالباً ما لا يعود إليه.

ثم إنّ مساوئ البنت الصغير في المعاجم المدرسيّة عديدة، فبالإضافة إلى إرهاق بصر القارئ، وانزعاجه فإنّه يُظهر الكلمات كأنّها مُتراصة، لا فاصل بينها، أو كأنّ السطور مُتلاصقة بعضها ببعض، ويُجهدُه في تمييز بدايات الكلمات من نهاياتها، فمن الضروري ترك حيز من البياض بين المداخل والكلمات، والفقرات والأعمدة، وبين السطور حتى يبدو المتن المطبوع بالأسود واضحاً، ويبقى الحبر الأسود من أنسب الأحبار التي يُمكن أن تُقرأ بها الحروف المطبوعة لسهولة رؤيته، فإذا ميّزت المداخل بالحبر الأحمر أو الأخضر كان أحسن وأوفق.

رُغم أهمية وجود حيِّز ما من البياض بين الكلمات والسطور فإنَّه لا ينبغي أن يزيد على الحد المناسب والضروري، لأن تجاوز ذلك ينقلب سلباً على المعجم، حيث تقضي العين وقتاً في الانتقال بين الكلمات، فهذه «...الصفات الطباعية ... من شأنها أن تدعُو الناشئ أو القارئ عامة للملل أو النفور من المعجم، أو تحيل بينه وبين التركيز والتأني والتمعُّن والتأمل في معاني الكلمات، ولا تشجعه على مواصلة البحث عنها، الأمر الذي يقوده إلى إساءة اختيار المترادفات أو المعاني المناسبة للكلمات التي يبحث عن مدلولاتها، لاختلاطها أمام بصره، كما قد يؤدي إلى اضطرابه في نُطق الكلمات.» (18)، وبهذا يُضيع وظيفة هامة من وظائف المعجم ألا وهي إبراز الهجاء، وطريقة نطق الكلمات.

إنَّ اختيار مقاس الكتابة، أو ما يُسمى بالبنط تحكمه اعتبارات منها : أعمار اللذين يُعد لهم المعجم فتلميذ الصف الابتدائي، ليس كتلميذ الصف الإكمالي، حيث يفضل الصغير غالباً الخط الكبير، لأنَّ قوة العصب البصري لدى الصغار أضعف منها لدى الكبار، لذا فمن الأهمية بمكان اختيار بنط كبير نوعاً ما للصغار، خصوصاً تلاميذ المستوى الابتدائي، ويمكن التدرُّج في الأحجام بتدرُّج المراحل التعليمية، والسَّيِّئَة واختلافها ومثال ذلك "الرائد الصغير «الموجَّه للمرحلة الابتدائية والذي نجد الكتابة فيه بارزة، وواضحة، والأمر نفسه في معجم "المفصل" ومن المعاجم المدرسية التي استُخدم فيها الحجم المعتدل معاجم دار الراتب (أبجد - الأسيل - الأداء).

وقد يرجع اختيار مقاس الحروف في نظر أصحاب دور النشر إلى اعتبارات مالية، وهذا ما أكَّده مدير النشر بدار هومة الذي أرجع اختيار مقاس دون آخر بالدرجة الأولى إلى الثمن الذي يُراد أن يُباع به المعجم، لأنَّه كلما كان مقاس الحروف كبيراً استدعى مساحة أوسع، واقتضى عدداً أكبر من الأوراق، ممَّا يستدعي ارتفاع التكلفة أيضاً.

إنَّ لحجم الكتابة علاقة مباشرة بحجم المعجم، فكلما كان الأوَّل صغيراً أو كبيراً كان الثاني كذلك، وخير مثال على ما قلناه "المعجم الوجيز" الذي نجد حجمه صغيراً، لأن الكتابة فيه بمقاس صغير، والشئ نفسه نجده في "القاموس الجديد للطلاب".

لكن هذا الكلام ليس قاعدة يُمكن تعميمها دوماً، إذ نجد معاجم استعملت بنطاً كبيراً، مع أنَّ حجمها جاء صغيراً، كالمعجم العربي الميسر، لأنَّ المادة الموضوعية بين دفتيه محدودة.

كما تتدخل في حجم المعجم اعتبارات أخرى مثل مدى مسافة البياض الموجود بين الكلمات والسطور، وفي الهوامش، حيث نجد أنَّ "القاموس الجديد للطلاب" يحتوي على نسبة عالية من البياض، لاسيما في الهوامش. وقد يعود اختيار بنط معين للحروف إلى عوامل أخرى فقد يلجأ الطابع إلى استخدام البنط الكبير، ويزيد من اتساع البياض ليُوحى بأنَّ المعجم كبير كما هو الحال بالنسبة "للمعجم العربي الميسر".

لقد بيَّنا أنَّ المعجم رغم أنَّه كتاب، إلا أنَّه ينفرد ويتميز عن بقية الأنواع بكونه لا يتضمَّن ترابطاً معنوياً بين وحداته كما نجده في الرواية، مثلاً يكون النُّص فيها مُتسلسلاً، يتناولُ فكرة واحدة، لذا فإننا لا نجد في أيِّ مُعجم من المعاجم كبيراً كان أو صغيراً مدرسياً أو للكبار أو معجماً خاصاً سطرًا يبتدئ من بداية الصفحة إلى نهايتها، بل نجد دائماً عمودين أو ثلاثة أعمدة، سواء كان الفصل بينهما بخط أو ببياض فقط⁽¹⁹⁾ لأنَّ المعجم يحتوي كلمات كثيرة، لا يربطها سوى قُرب بعضها بعضاً في الترتيب الألفبائي للحروف (جذرياً كان أو نطقياً)، ثم إنَّ الكلمة في حدِّ ذاتها تتضمَّن معاني مُختلفة، واستعمالات مُتعددة، لا يُناسبها إلا السطر الصغير، فلو استُعمل في المعجم السطر الطويل فإنه يُتعبُ القارئ وينفره، أما وجود الكلمات، والمداخل ومعانيها في فقرات قصيرة، فذلك يُوحى لدى مُستعمل المعجم بيسر عملية البحث، وأنَّه سيجد

ضالته، لأنَّ الفقرات منتظمة في شكلها، والسطور محدودة الطول، لها بدايات واجدة ونهايات متساوية ومتعادلة عند حد واحد.

ثم إنَّ استعمال الأسطر القصيرة في الكتب الأخرى كالرواية مثلاً، قد يؤدي إلى بتر الأفكار، وانقطاع التتابع والتسلسل.

نجد في أغلب المعاجم المدرسيَّة شكلين للكتابة، شكل خاص بالشرح وآخر للمداخل، حيث يتميَّز المدخل بأنَّه يُكتب بخط ثخين، والغرض من ذلك جلب انتباه القارئ إلى بداية كل مدخل جديد، كما أنَّ نسبة المداخل في الصفحة الواحدة ضئيلة جداً مقارنةً بنسبة الشرح التي تُعدُّ المسيطرة.

ونشير في هذا الموضوع إلى أهميَّة التشكيل بالنسبة لبعض الكلمات، لأنَّ عدم تشكيّلها قد يُوقع مُستعمل المعجم في اللبس، وإلى ضرورة تصحيح الأخطاء المطبعية، والهفوات والأخطاء التي «... كانت وما زالت إحدى علل معاجمنا القيِّمة قديماً وحديثاً، قديماً كان المسؤول الناسخين، واليوم يُعزى مُعظمها إلى المُساعدين...»⁽²⁰⁾

ولم يعد مسموحاً التذرُّع بوسائل الطباعة، لأنَّ هذه الأخيرة قد عرفت تطوُّراً كبيراً وأصبح بالإمكان طبع نسخ بأبناط مُختلفة وأشكال متنوعة ومتعددة للخطوط.

4. الصور والرُّسوم:

يَميلُ الناسُ عموماً والصغار بالخصوص إلى الكُتب التي تحتوي على صُور، ويرغبون كثيراً في اقتنائها، والاطلاع عليها و« يعود وضع الصور في الكُتب إلى تقدُّم الطباعة وتقنيات التصوير وقبل ذلك كانت الكُتب والمخطوطات تُزيَّن بزخارف ونقوش منجزة من طرف رسامين.»⁽²¹⁾

فما هو تأثير الصور والرُّسوم في مُستعمل المعجم ؟

تلعبُ الصور والرُسوم في التوضيح، والتفسير، والتشخيص، دوراً كبيراً الأهمية في المعاجم المدرسية إذ تُعد من بين أهم وسائل الإيضاح المعجمية، فهي تقوم بتجسيد المفاهيم المحسوسة التي لم يعرفها التلميذ من قبل، فتُوضع الصور في المعجم ليتسنى له معرفتها، مثال ذلك أنه سمع عن "كنغر" إلا أنه لم يعرف صورته، فيضع المؤلف الاسم ويشرح معناه، ويُرفق ذلك بصورة حسية (المرجع)، فيتمكن التلميذ من الربط بين المسمى ومرجعه، والشئ نفسه في حال ما إذا كان التلميذ لا يعرف الكلمة البتة .

كما تضيف الصورة أشياء هامة لما هو مكتوب، فأحياناً تبقى الكلمة ناقصة، أو أن شرحها لا يوضح المعنى لافتقاره إلى رسم يُسانده أو صورة تُكمله. تساعد الصورة على بقاء المعنى وترسيخه في الذهن خصوصاً إذا كانت موضوعة بطريقة جيدة ومُعبرة.

إنَّ الصورة ليست توضيحية فقط كما نستشف من اسمها، بل هي مادة حيّة لها قيمتها التي تفوق أحياناً قيمة الشرح الموضوع للكلمة، أي إنها قد تعبر وحدها عن أشياء كثيرة لا نستطيع التعبير عنها بكلمات كثيرة، وجمل طويلة، ففي بعض الأحيان تلعب الصور دوراً أكبر مما تلعبه الكلمة، لأن الصور قادرة على عبور الحواجز اللغوية «فالصورة كما يقول مثل صيني قد تُغني عن ألف كلمة.» (22)

مثال ذلك أننا إذا أوردنا اسم طائر من الطيور في المعجم ونشره دون وضع صورته، يعرف التلميذ أن هذه الكلمة اسم طائر، لكن ما الفائدة من الشرح إذا لم يعرف عن أي الطيور نتحدث لاسيما وأنها مُتعددة والكثير منها مُتشابه.

إنَّ للصورة في المعجم المدرسي سواء كانت مرسومة أو فوتوغرافية دوراً فعّالاً في جلب انتباه التلميذ بحكم ضالة رصيده المعرفي والثقافي وقلته، وحبّه للصور، وإيمانه بما يقرأ ويشاهد، وكلّما كانت الصورة مُلوّنة كانت أكثر

تأثيراً، وأطول بقاء، ورسخت في ذاكرته فـ "الصورة الملونة أوضح من الرسوم السوداء والبيضاء، وانفع في الكشف عن المدلول الحقيقي للكلمات."⁽²³⁾ علماً أن التلميذ كلما كبر قلَّ اهتمامه بهذه الجوانب وخفَّ العبء على المؤلف والناشر.

إنَّ محتوى المعجم المدرسي ليس له كالقصة أو أيِّ كتاب آخر نصاً متسلسلاً من الكلمات، له بداية وأحداث ثم نهاية يستخلص منها القارئ معلومات أو عبراً ...، فالقصة مثلاً غالباً ما تشد التلميذ إلى قراءتها والأولياء إلى اقتنائها، أما المعجم فهو عبارة عن مجموعة محددة من مفردات اللغة التي لا تربطها أيّة علاقة سوى أنَّها مصنَّفة وفق منهج معيَّن، ممَّا يجعله أقلَّ حظاً في الاستعمال والبحث مقارنةً بغيره من الكتب، لذا فإنَّ لاختيار الصور المناسبة ووضعها في المواضع التي تخدم الغرض منها أثراً كبيراً في تشويق التلميذ لاستعماله والتقليل من قلقه وتوتره أثناء عملية البحث، وفي توضيح ما جلبت لأجله وتفسيره.

إنَّ الصور رغم دورها في جذب انتباه التلميذ لاستعمال المعجم، ومن أثر إيجابي في التذوق الفني، تبقى ثانوية، إذ لا ينبغي أن يطفئ هذا الدور فيُصبح استخدام الصور لمجرد التزيين فقط، وخطف الأنظار، أو عنصراً من عناصر الإخراج، أو للتباهي بأنَّ المعجم مُواكب للتطور، أو أن يتحول " ... إلى ألبوم صور يتلهى الناشئ بالنظر فيه وينشغل عن التأمل في الموضوع المقرر."⁽²⁴⁾ بل يجب أن تُوضع الصورة عند الإحساس بأنَّ شرح الكلمة وحده لا يكفي، ولا يُلبّي حاجة القارئ العملية، وفي هذه الحالة يُحيط التلميذ بمعنى الكلمة، وصورتها، التي تُساعد على إيصال الرسالة بسرعة ويسر، وتثقف بصره المُتطلع إلى معرفة كل ما يُحيط به من أشكال مادية حيّة، وجامدة، فتُحقق الصورة ثنائية الفائدة والمتعة.

إننا لا نتصورُ معجماً مدرسياً تعليمياً خالياً من الصور، كما لا نتصورُ شخصاً معجماً ورساماً في الآن نفسه، لذلك على المعجمي أن يُحدد مسبقاً وبدقة أوصاف الصورة، وما يُريد أن يُركز عليه بها ويبرزه بالنظر إلى وظيفتها التعليمية، وبهذا يُيسرُ المهمة على الرسام (المصور) الذي يُفترض أن يكون محيطاً بنفسية من يرسمُ له، حتى تكون رسومه، وصورة ملائمة لمستواهم، وملبية لحاجياتهم المختلفة والمتنوعة، إضافة إلى موهبته في الرسم، وقدرته في الإبداع، والمحاكاة.

إن قيمة الصورة حسب دويوف لا تتعدى قيمة المثال التوضيحي (valeur d'un exemple) ، وهي لا تستطيع أن تُصورَ كُلَّ ما يتعلّق بالكلمة، كما تفترض اختياراً اعتباطياً لمميّزات، وخواص الأشياء ذات الصنف المتجانس⁽²⁵⁾ وترى أيضاً أن لا شيء يُعوّضُ الشرح، وأنّ اللغة هي التي يُمكنها التعبير عن كل شيء، أمّا الصورة فلا يُمكنها ذلك، وتذهبُ أيضاً إلى أنّ ما يُجسّدُ بالصورة هو أقلُّ وضوحاً ممّا هو مفسّر، رغم الرأي المعارض لفتجنشتاين (Wittgenstein). فضلاً عن ذلك فإنّ الصورة لا تُوضح سوى الكلمات التي لها مرجع حسي (les mots abstraits)، وأشارت إلى أنّ علماء النفس اللغويين بيّنوا أنّ القراءة المدعّمة بالصورة، تُمكن الطفل طبيعياً من تصوّر الكلمة، وتمنّعه من التفكير في الحروف، فإذا وجد التلميذ مثلاً صورة نعل (soulie)، يُمكن أن يقرأ حذاء (chaussure)⁽²⁶⁾، ونحن نوافق دويوف الرأي في مكانة الصورة في المعاجم المدرسيّة أو المُعدة للصغار، لكن ليس بالدرجة نفسها، فما ذكرته إذا عد من سلبيات الصور، لكنه لا يُنقص أبداً من أهميتها ودورها اللذين يفوقا أحياناً أهمية الشرح نفسه، بشرط مُراعاة أن تكون مُعبّرة عن الأشياء التي وُضعت لها تعبيراً دقيقاً، مستوفية كل خصائص المرجع إذا أمكن، وإذا لم يُراع ذلك فإن الصورة ستؤدي عكس ما وُضعت له، فتُصبح وسيلة للإبهام واللبس، وتؤدي إلى تصوّر خاطئ في ذهن التلميذ، قد

يستمر طول حياته إذا لم تتح له فرصة تصحيحه، فما العمل إذا كانت تصوّرات خاطئة؟

يجب أيضا أن تُحدد المساحة المُخصصة للصور بدقة وتضبط، فأحيانا يستدعي الأمر صورة صغيرة وأحيانا أخرى يستدعي صورة أكبر كما هو الحال في الخرائط حتى يتضح الرسم، وتبرزُ معالمه بجلاء، ويجب الحرصُ على أن تُوضع الصورة جنب الكلمة التي يُراد توضيحها، وإن اضطر واضع المعجم إلى إيراد الصورة التوضيحية بعيدة عمّا توضحه لضيق المكان أو لسبب آخر، وجب الإحالة إلى الرسم عند شرح الكلمة عن طريق رقم أو رمز معيّن ومن الضروري مُسبقاً معرفة متى تكون الصورة صغيرة؟ ومتى تكون كبيرة؟ ومتى لا تُورد أصلاً؟

وفيما يلي نورد جدولاً يبين نصيب بعض المعاجم من الصور ومن الألوان:

الرسوم والصور في المعاجم المدرسيّة :

المعاجم المدرسيّة	تحتوي على صور	ملوّنة	لا تحتوي على صور
1	القاموس الجديد للطلاب	x	
2	لاروس المعجم العربي الحديث	x	
3	الوايفي		x
4	رائد الطلاب	x	
5	الرائد الصغير		x
6	المعجم الوجيز	x	
7	المعجم العربي الميسّر		x
8	الأسيل		x
9	الأداء		x
10	المفضّل		x
11	الهُدى		x
12	المتقن القاموس العربي المصور	x	x

- يحتوي "القاموس الجديد للطلاب" على صورٍ، لكنها صغيرة جداً، وغير ملوّنة، موضوعة في بعض هوامش المعجم، ونجد أيضاً في بعض ملاحقه لوحات علمية، وعددها 29 لوحة مرقّمة ترقيمياً رومانياً، مثال ذلك VI السيارة القاعدة والهيكل

- يحتوي " لاروس المعجم العربي الحديث " على كثير من الصور التي وُضعت توضيحاً لكل ما قد يتعدّر على التلميذ فهمه، وهي صغيرة جداً، غير ملونة، كما نجد صورة في مستهل كل حرف، يبتدئ اسمها بذلك الحرف. وزُعت أغلب صور معجم " لاروس " في الهوامش مثله مثل "القاموس الجديد للطلاب". وفي مواضع قليلة تقتحم الصور المتن، ونجد كذلك اختلاف أبعاد الصور في " لاروس"، فمنها ما هو على مساحة 18 سم² أي ب 4سم طولاً × 4.5 سم عرضاً، وهو مقاس أغلب صور المعجم، ومنها ما هو على مساحة 7.5 سم² أي 3 سم طولاً × 2.5 سم عرضاً. ويرى الخطيب أحمد شفيق أن « ... لاروس المعجم العربي الحديث -الذي استعار مجموعة من الصور من لاروس الفرنسي- لم يستطع إخراجها بشكل واضح نقي ومدقق... »⁽²⁷⁾

نجد في كل باب من أبواب معجم " لاروس " محورا يحتوي صوراً لموضوع معيّن، لكن هذه الصور تتميز عن الأولى بأن انتقيت لها أوراق صقيلة ملساء، كما تتميز عن الموضوع في متن المعجم بكبر حجمها وورودها ملوّنة، كما أنّها غير مرقمة مع صفحات متن المعجم، مثال ذلك محور الإنسان كاملاً: الصدر والبطن وصفحة مقسمة إلى شطرين، الشطر الأول : الرأس وكل ما فيه، والشطر الثاني : الأذن وهي موجودة بين الصفحتين 858 و 859

لوحات معجم " لاروس المعجم العربي الحديث " هي:

- الإنسان بين الصفحتين 168 و 169.
- فن الرسم الأوربي بين الصفحتين 200 و 201.
- زخارف وطرف إسلامية بين الصفحتين 616 و 617.
- الحضارة القديمة في الشرق الأوسط بين الصفحتين 712 و 713.
- مخطوطات ومنمنمات إسلامية بين الصفحتين 1096 و 1097.
- الفن المصري القديم بين الصفحتين 1128 و 1129.
- الإسلام، الهندسة المعماريّة بين الصفحتين 1256 و 1257.

- توجد في كل باب من أبواب معجم "رائد الطلاب" صفحة تحتوي على مجموعة من الصور التي تبتدئ أسماؤها بذلك الحرف، لون الصفحة أحمر، والصور فيها صغيرة، سوداء وغير واضحة تمام الوضوح.

- ونجد التناقض واضحاً بجلاء في "الرائد الصغير" الذي لا يحتوي على أية صورة، فكيف يحتوي "رائد الطلاب" على بعض الصور -رغم أنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب من ناحيتي الشكل والوضوح- وهو موجه إلى أقسام الإكاديمية والثانوية إلى حد ما، في حين لا يحتوي "الرائد الصغير" على صور، رغم أنه موجه إلى المبتدئين الذين تعتبر الصورة لديهم وسيلة ضرورية، ودليلاً هاماً للتوضيح، وهذا ما يؤكد - مرة أخرى - أن تقسيم المعاجم المدرسية يتم بصفة عشوائية، وأن المعيار الوحيد لديهم للتمييز بين معجم الإكاديمية، وآخر للابتدائية هو اختصار مادة المعجم، وصغر حجمه لا غير.

- أما صور "المعجم الوجيز" فقليلة جداً، دون ألوان.

- لا نجد في "المفضل" صوراً، وإنما نجد في كل باب (حرف) صفحة لصورة واحدة، وهي في مجملها صور باهتة، رمادية اللون، مضببة، لم تستعمل لغاية التوضيح كما تستعمل الصور غالباً، وهي بسيطة في مضمونها، لأنها صور عن بعض جوانب الطبيعة وعن أنواع الحيوان التي يعرفها الكبير والصغير⁽²⁸⁾.

- تبدو صور معجم "المتقن" غاية في الجودة والدقة، والجاذبية، ألوانها جميلة ومعبرة في الآن نفسه، كما أنها مرقمة، وقد بين مؤلفوه في المقدمة أنهم قد عمدوا إلى تطعيم المعجم برسوم ملونة، قريبة من متناول الطلاب، وطلبوا من فريق تربوي التعليق عليها بجمل واضحة، يقتدي الطالب بها عند كتابته، بينما المعمول به حتى في المعاجم العلمية هو شرح الرسم أو الصورة بمفردة واحدة، ولم يكتفوا بالرسوم المتناثرة على الصفحات بل أضافوا عشرات اللوحات الملونة⁽²⁹⁾

- نستنتج أنَّ أغلب المعاجم المدرسيَّة العربيَّة لا تحتوي على صور ف « ... هذا العنصر بصراحة لم يتوطد بعد بالدرجة التي نصبو إليها ... فنظرنا إلى الصورة مازالت تدور في نطاق التزيين، ويا ليتها حتى تحقق ذلك »⁽³⁰⁾

وهو يرجع إلى الإمكانيات المادية، ولهذا يفضل أغلب المؤلفين عدم احتواء معاجمهم على صور في حين يكتفي آخرون بصور صغيرة باللونين الأبيض والأسود، أو وضعها في محاور (مجموعة من الصور التي تبتدئ بحرف ذلك الباب) وربما يرجع السبب إلى عدم تمكن المؤلف أو دار النشر من الاهتمام إلى الصور التي تخدم الغرض منها في المعجم، فإعداد الصور التوضيحية ليس بالأمر الهين ولا بالسهل.

- كثير من رسوم وصور المعاجم يضعها أناس غير أكفاء، وهناك بعض دور النشر التي تكتفي برسوم رديئة، لأسباب منها:

1. سبب تجاري: حيث إن تخصيص رسَّامين وفوتوغرافيين يحتاج إلى أموال، وتكاليف معتبرة، وهذا ما لا يُريده كثير من أصحاب دور النشر الذين يهدفون إلى الربح بأقل جهد وبسط تكلفة.

2. ربما لعدم إيمانها بأهمية الرسوم والصور في المعجم فتكتفي ببعض الصور البسيطة وقد تزيحها تماماً من المعجم.

3. إنَّ الصور تشغل حيِّزاً (ضيِّقاً أو واسعاً) يرى أصحاب دور النشر أنَّ الأولى والأجدى أن تورد فيه الشروح والتفسيرات اللفظية.

يقول الخطيب أحمد شفيق: " إنَّ نظرة عابرة حتى في خيرة معاجمنا في هذا المجال تُؤيِّد هذه المقولة، فالكثير من الصور لا يمكنك إدراك كُنْهه ما لم تقرأ الشرح، لتستنتج بنفسك ما يمكن أن تكون كصورة " ⁽³¹⁾

إنَّ المعاجم الحديثة كـ "الواي"، و"المعجم الوجيز" و"رائد الطلاب"، يمكن أن يشفع لها في عدم وضعها لصور لا ترتقي إلى المستوى المطلوب، نقص وسائل الطباعة، أمَّا المعاجم المعاصرة فلا يمكن أن نلتمس لها الأعذار، لأن وسائل

الطباعة وتقنياتها قد تطوّرت، ووصلت إلى درجة عالية من التحكم والدقة، فلماذا نجد معاجم مدرسيّة - خصوصاً تلك الموجهة إلى التلاميذ ذوي المستويات البسيطة - بلا رسوم على الإطلاق، أو نجد رسماً أو رسمين، بالأبيض والأسود يفتقران إلى أدنى شروط الرسوم التوضيحية، ربّما تكون إزالتها نهائياً أفضل بكثير من إبقائها في المعجم، في حين لا نجد أيّ معجم مدرسي فرنسي خالياً من الصُّور، لإدراك المؤلفين، ودور النشر أهميتها ودورها، ومع هذا فإنّ دور النشر العربيّة قد بدأت تتفطّن إلى ضرورة وأهمية الصور في المعاجم لسببين اثنين:

1. رُقي الطباعة والإخراج.

2. الاقتداء بالمعاجم الأجنبيّة، ومحاولة السير على مناهجها.

وخير مثال على ذلك معجم "المتقن" الذي أدرك مُؤلفوه أنّ الصورة قد « ... أصبحت إحدى الضروريات الأساسيّة لأيّ معجم متكامل »⁽³²⁾، فضمّنوه بعض الصور التوضيحية مما أعطاه قيمة متميزة، ومكانة خاصة بين المعاجم المخصّصة للمتعلمين.

5. الألوان:

اللون... هو المادة التي تُستعمل للتلوين على سطح الأشياء، وهو ظاهرة فيزيائية ناتجة عن تحليل الضوء، ويقصد بكلمة لون لدى الفنانين التشكيليين والمشتغلين بالطباعة، وعمّال المطابع، المواد الصابغة التي تستعمل لإنتاج التلوين. وبصفة أدق هو تأثير فيزيولوجي تلتقطه شبكية العين.⁽³³⁾

إنّ استخدام الألوان في المطبوعات أداة قويّة في متناول الناشر؛ والغرض الأساسي من استخدامها في المعجم، هو مساعدة مستعمليه على فهم الصور التوضيحية والرسوم البيانية... كما تتميز الصور الملوّنة عن غيرها في أنّ شبكية العين تلتقطها بسرعة أكبر، وتمكّن مستعمل المعجم من التمييز بين عناصر الصورة والتركيز على أهمها، كما تُقوي الألوان فاعلية الصور فبالإضافة إلى

معرفة التلميذ مرجع الكلمة التي يبحث عن شرحها، فإنه يطلع على لونه الحقيقي، وبهذا يضمن للكلمة، والمرجع بقاء أطول في ذاكرته، لاسيما إذا كان استخدام اللون عنصراً أساسياً في توضيح الشيء المرسوم، أو للتمييز بين شيئين متشابهين.

أما الصور غير الملونة، فإنها لا تؤدي دورها كاملاً، لأنها تجعل مُستعمل المعجم يجتهد في تصور ألوانها بنفسه وتخيلها مما قد يُوقعه في الخطأ، فتبقى الصورة مشوشة في ذهنه. ولألوان خاصة جلب الانتباه في أي وسيلة وجدت، لاسيما إذا استعملت بكامل قيمتها.

رغم ذلك ينبغي التعامل مع الألوان بحذر، وعناية، فاللون ليس طلاء للصورة فحسب، بل جزء لا يتجزأ من دلالتها، لذا يجب أن يستخدم وظيفياً، حيث تُنتقى الألوان الطبيعية للشيء المرسوم أو المصور، فلا يمكن مثلاً أن نضع للغراب اللون الأحمر أو البرُّقالي بحجة أنَّهما أجمل، أو أكثر جلباً لانتباه القارئ من اللون الأسود الذي يُعتبر اللون الحقيقي للغراب، وعنصراً أساسياً من عناصره الدلالية، ثم إنَّ استخدام الألوان بطريقة وظيفية يُساعد على سرعة الفهم، ويوضِّح بجلاء العلاقة بين عناصر الصورة.

إنَّ المغالاة في استخدام الألوان بشكل يتَّسم بالإسراف، أو يجعلها وسيلة لستر عيوب المعجم، يكون سلبياً أكثر منه إيجابياً، خاصة في الغلاف، حيث يُسيء إلى منظر المعجم، ويؤدي إلى تشتُّت انتباه القارئ وإرهاق بصره « ... وبهذا نصل إلى الحكم بأنَّ أهمية اختيار الألوان واستغلالها في المعجم بحسب حاجة المستعمل وعمره أمر لا جدال فيه. » (34)

وإذا تأملنا المعاجم المدرسية وتفحصناها ندرك أنَّها تَسْتَعْمِلُ اللون الأسود للكتابة، وهو أفضل الألوان لأنَّه يطبعُ - غالباً - على ورق أبيض.

يقول ليوناردو دافنشي: « ... الشيء الأبيض يظهر أكثر بياضا عندما يكون في مجال أكثر عتامة. » (35)

أما المداخل، فأغلب المعاجم يُستخدم فيها اللون الأحمر، وذلك لإبرازها. نلاحظ من خلال الجدول السابق، أنَّ كل المعاجم المدرسيَّة التي تحتوي على رُسوم، وصُور لم تستخدم الألوان، ما عدا " لاروس المعجم العربي الحديث"، وهو الآخر لم يستخدم الألوان إلا في اللوحات، وعددها سبعٌ، بينما وردت صور المعجم كلها باللون الأسود الذي لم يُعد كافيا لوضع صورة معجمن الفنيَّة" (36) "ومن المؤسف أنَّ معاجمنا العربية لم تلتفت بما فيه الكفاية إلى استغلال تأثير الألوان في إثارة حب الإطلاع وشحن الهمم وإيقاظ مشاعر الجمال في القارئ العربي حين ينظر إلى مُعجم لُغته وهو الذي يرى في كلِّ حين معاجم الدنيا تنزع إلى الكمال والجمال بينما ما يزال معجمه يئن تحت وطأة التقليد والرُّكود والابتذال " (37)

وقد يرجع عدم استخدام دور النشر العربية للألوان في المعاجم إلى عدم إيمانها بضرورتها وأهميتها أوالى اعتبارات مالية، حيث إنَّ استخدام الألوان في صور المعاجم المدرسية يتطلب تكلفة كبيرة، لأنَّه يحتاج إلى كبسولة الحبر الملون، وهي تحتوي على ثلاثة ألوان فقط، لكنَّها أساسية ومُكملة (couleurs primaires et complémentaires) وهي:

الأحمر المُركَّب (cyan)، الأزرق المُركَّب (magenta)، الأصفر (jaune).

وانطلاقا من هذه الألوان يُمكن الحصول على ألوان أخرى كالبرُنقالي الذي يتمُّ الحصول عليه عن طريق مزج الأحمر بالأصفر، ونحصل على الأخضر بمزج الأزرق والأصفر... (38)

كما يقتضي استخدام الألوان اختيار نوعية رفيعة من الورق الذي يُعبر بدقة عن التدرُّجات اللونية، وربما يكون هذا هو سبب عزوف دار هومة للنشر عن استخدام الألوان في معاجمها، فبالإضافة إلى أنها مُكلفة، فإنَّها تستدعي أيضا نوعاً رقيقاً من الورق.

- ونذكرُ هنا أنَّ الألوان توضع على أغلفة المعاجم المدرسيَّة لثلاثة أمور:
1. كونها رمزاً: وهو ملائمة اللون المستعمل على غلاف المعجم، ليسنً ونفسية مستعملة، إذ إنَّ لكل لون دلالة يوحي إليها.
 2. كونها وسيلة إيضاح: مثل تلوين الصور والرسوم التوضيحية بألوانها الحقيقية.
 3. كونها أداة تأكيد: لأنَّ الألوان تجلب الانتباه وتركزه.
- وثمة عدة اعتبارات لاستخدام الألوان على أغلفة المعاجم المدرسية، يجب مُراعاتها وهي:

1. ملائمة اللون لمستوى المعجم:

فالمعاجم المصوَّرة الموجهة للأطفال الصغار بحاجة إلى ألوان متعددة، وزاهية، وينقص عددها ودرجتها بنموهم.

يكتسبُ كل لون مجموعة من الدلالات الرمزية، وعادة ما يكون لكل لون نطاق واسع من الدلالات الرمزية، فاللون الأصفر يبعث النشاط في الجهاز العصبي⁽³⁹⁾، والأزرق يُوحي بالوضوح والهدوء، فهو لون المحيط والكون، وهو اللون الذي يدفعنا إلى الاكتشاف والمعرفة، لأنَّ عمق المحيط وعمق الفضاء يأخذنا إلى أعماق الأشياء، ويذكرنا أنَّ البحث قبل كل شيء يبدأ من الداخل، وهو اللون الشاهد على حاجتنا للفهم والجواب عن أسئلتنا الأساسية، ويُوحي خاصة عند الأطفال عن عمق الأشياء والفضول إلى المعرفة⁽⁴⁰⁾ ويوحي الأحمر بالطاقة والحيوية والحركة، والثورة فهو لونٌ مثير بطبيعته⁽⁴¹⁾ وهو لون الإرادة والعزم والتأكيد ولون السرعة والحركة⁽⁴²⁾، وهذه الألوان الثلاثة هي الأكثر انتشاراً في المعاجم المدرسيَّة الفرنسية؛ أمَّا المعاجم العربية فإننا نجد لكل غلاف لوناً - كما رأينا سابقاً - مما يبين أنَّ وضعها لم يكن مبنياً وفق أسسٍ علمية، ونفسية مُسبقة، بل يعود بالدرجة الأولى إلى ذوق الناشر، كـ "لاروس المعجم العربي الحديث" و "المعجم الوجيز" و "المعجم العربي الميسر"، استعمل فيها

بوضوح اللون الأخضر، ويرجع ذلك حسب ما يبدو لنا إلى المعرفة المُسبقة بقيمته، حيث أكّدت التجارب العلمية أنَّ الأخضر يشعر الإنسان بالسُرور ويبعثُ فيه البهجة وحب الحياة⁽⁴³⁾، كما أنَّه يريح البصرَ لأن المساحة البصرية لهذا اللون أصغر من المساحة البصرية لباقي الألوان، وحكمة الله تعالى تتجلى في خلقه النباتات والأشجار والأعشاب بهذا اللون وجعلها خلاصة للأنظار.

وهناك تجربة تمّت في لندن على جسر (بلاك فرايار) الذي يعرف بجسر الانتحار، ولمّ تمّ تغيير لونه الأسود القاتم، إلى اللون الأخضر الجميل انخفضت حوادث الانتحار بشكل ملحوظ⁽⁴⁴⁾، ولهذا استُبدل لون السبورة بالأخضر عوض الأسود.

واستخدم معجم " لاروس " بالإضافة إلى اللون الأخضر، اللون الأزرق الداكن، وكتب عليه باللون الأسود، وهذا الاستخدام غير مستحسن، لأنّ اللون الداكن لا يبدو واضحاً إذا وُضع على أرضية قاتمة، في حين يبدو أوضح إذا وضع في جسم أكثر إضاءة، لهذا يُستحسن في المعجم المدرسيّة مزج الألوان الفاتحة والألوان القاتمة، وعدم الاقتصار على لون دون آخر، فالكثافة بلون داكن على أرضية داكنة لا تبدو واضحة متميّزة، كما أنّ مساحتها تبدو أقل، في حين لو استُعملت على أرضية فاتحة، فإنّ مساحتها تبدو أوسع وأكبر.

2. المساحة:

تتأثر الألوان من حيث قوة وضوحها طبقاً لبُعدها وقربها من عين الرائي، وهذا بحسب المساحة التي يُغطيها كل لون على غلاف المعجم، وبما أنّ الأخضر والأزرق المُستعملين على غلاف "لاروس المعجم العربي الحديث" قد أخذ كل منهما نصف مساحة الغلاف، لهذا تم فصل أحدهما عن الآخر بخط أبيض (لون فاتح)، والأمر نفسه في استخدام لونين فاتحين إذ يُستحسن أن يُفصل بينهما بلون داكن.

3. وضع العنوان:

يجب أن يكون العنوان قي منتصف الغلاف، ويكتب بخط بارز واضح وكبير، وأن يكون لوئهُ مُلائماً للون الأرضية التي كتب عليها. ومثال ذلك Le Robert collègue وهو عنوان مُعجم مدرسي فرنسي كُتب بخط بارز، باللون الأصفر على أرضية زرقاء، وهذان اللونان يبدوان منسجمين حينما يُوضعان على أرضية واحدة.

6. الحجم: (45)

يتكوّن حجم المعجم من الطول والعرض - اللذين يتوقفان على درجة القص والسّمك (الارتفاع) - والذي يتوقف على عدد الصفحات، ونوع الورق المستعمل - (46)

يتأثر حجم المعجم بعوامل كثيرة أهمّها:

- 1- نسبة المادة اللغوية التي وُضعت بين دفتي المعجم، أي عدد المداخل، وكذا طريقة الشرح المعتمدة.
- 2- مقاس الحروف المُستعمل في التحرير.
- 3- نسبة البياض بين الأعمدة، والأسطر، والهوامش.
- 4- سمك الورق المُستخدم.

إنّ احتياجات التلميذ في المستويين الابتدائي والإكمالي ليست هي احتياجات تلميذ الثانوية أو طالب الجامعة، ومن هذا قال حكمت كشلي فوّاز في صدد حديثه عن معجم "الوافي": «.. ولما كانت الحاجة ماسة إلى معجم لغوي حاو الكلمات التي يحتاج إليها طلبة المدارس -على اختلاف درجاتها- أوعزت إدارة المطبعة الأمريكية إلى الشيخ عبد الله البُستاني أن يختصر [مُعجمه البستان]... ما يفي بحاجة الطلبة، فلبى الطلب، ووضع فاكهة البُستان...» (47)

ما فعلته هذه الإدارة حينما طلبت من المؤلف " عبد الله البستاني" تلخيص معجمه، هو إيقانها أن التلاميذ بحاجة ماسة إلى معجم، كما عرفت أن المعاجم المتوافرة في تلك الفترة مطوّلة، وكبيرة الحجم، لا تُناسبُ حاجيات التلميذ اللغوية، ولا مستوياتهم الفكرية، وقدراتهم الإدراكية، فهم بحاجة إلى معجم مُختصر، ومفيد، ذلك ما لم يتفطن إليه مؤلفو المعاجم، بل أوّل من تفتّن إلى ذلك هي إدارة المطبعة الأمريكية بلبنان، ثم وزارة المعارف المصرية، التي لاحظت كبر أحجام المعاجم اللغوية، فتبنت معجم "المصباح المنير" ليكون مُعجماً مدرسياً للتلاميذ وذلك لتميُّزه بصغر الحجم، كما عمدت إلى تهذيب ألفاظه، حتى يُناسب سن التلاميذ ومستواهم، ثم أوصى مجمع القاهرة بعدها بوضع معجم وجيز للغة العربية، يكون حجمه أقل من المعجم الوسيط فألّف "المعجم الوجيز".

لقد بيّن لنا مدير النشر بدار هومة «أنّه توجد أحجام كثيرة معروفة، ومتداولة، لكن تفضيل أي حجم على غيره لا يرجع إلى أسس علمية أو نفسية، وإنما هو أمر يتعلق بأذواق المؤلفين أو الناشرين لا غير، وبيّن لنا أن "دار هومة" غالباً ما تنشر كُتبها، ومعاجمها في حجم 20سم طولاً × 12.5 سم عرضاً، إضافة إلى عدد الصفحات الذي يختلف من كتاب إلى آخر. وهو الحجم نفسه الذي اختير لمُعجم "المفضل" الذي تولت هذه الدار طبعه ونشره.

يذهب المعتوق أحمد محمّد إلى ضرورة أن يتميّز المعجم المدرسي «.. بصغر حجمه وخفة وزنه، وسهولة حمله، بالقياس إلى المعجم العام، وهذا ما يُسهّل على الناشئ اصطحابه ومن ثم التعوّد على استخدامه سواء في المدرسة أو المكتبة أو البيت.»⁽⁴⁸⁾ لكن دبوبوف تذهب عكس هذا الاتجاه، وترى أن العديد من الأشخاص يحسبون أن الفرق بين معاجم الكبار، ومعاجم الصغار، ينحصر في الكم أو المحتوى (Terme quantitatifs).

إنَّ المعجم الأقل حجماً يحتوي عدداً من الكلمات والمعاني المحدودة الاستعمال، والأكثر تواتراً، تكون معلوماته أقل تنوعاً، وأقل دقة، لكنها تكون وظيفية، لهذا نجد بعض الإشهاريين يصرحون بأن معاجمهم صغيرة الحجم، واصفين إياها -وهم مخطئون- بالسهولة والاختصار، ثم تساءلت: لماذا يحتاج الصغير إلى معجم ذي حجم كبير؟

تبين دوبوف أنَّ سبب حاجة التلميذ إلى معجم ذي حجم كبير، يعود إلى أنَّ المجال المعجمي المشترك بين معاجم الصغار، ومعاجم الكبار يقتضي وجود معلومات أكثر في الأول مقارنةً بالثاني، مثال ذلك كلمة مُشتركة في المجالين المعجميين للصغير والكبير، لكن شرحها في معجم الكبار يكون بسيطاً مُوجزاً، في حين يكون في معجم الصغار بمعلومات أكثر مع الاستعانة بالصورة⁽⁴⁹⁾.

ثم إن سهولة فهم النص تستوجب الحشو والإسهاب، فبين توضيحين للمعنى نفسه، الأطول هو أكثر سهولة، وكلما كان الشرح قصيراً - يعني أنه وجيز- كان صعباً عكس الرأي المتداول. وترى أن إحدى الحجج التي قد تعترض رأيها في كون المعجم المدرسي كبير الحجم هي المسألة المتعلقة "بالنقل"، هل يحمل الطفل كلَّ يوم هيكلاً بهذا الحجم في محفظته؟

وتجيب دوبوف بأنَّ المعجم مُؤلف يُتصفَّح في المكان عينه، سواء استُعمل استعمالاً فردياً، أو جماعياً، وأنَّ تصفُّحه في المنزل أمر سهل، أمّا في المدرسة، فينبغي أن تُتخذ إجراءات لتوفيره، الأمر الوحيد المؤكد، هو ضرورة التخلي عن فكرة كون المعجم صغير الحجم، زهيد الثمن، وتؤكد أن كلَّ معجم صغير الحجم أحادي اللغة، يستحيل أن يكون جيّداً حتى لو اضطررنا إلى أن نُحطم ونكسر العادات التعليمية والاجتماعية القديمة⁽⁵⁰⁾.

وقد ذكر أحمد مُختار عمر أنه من بين النتائج الهامة التي توصل إليها علماء التربية، في دراستهم للمعاجم المدرسيّة ميل الصغار إلى استخدام

الخصائص الوظيفية للأشياء أكثر من استخدام الإشارة إلى خصائصها الحسية، وهم أكثر إفا بالمعلومات المدركة بالحواس من المعلومات التي تحمل الخصائص الوظيفية، مما يزيد من حجم المعاجم الموجهة إلى التلاميذ، وهم بهذا صححوا تصورهم الخاطئ في أن التلاميذ في حاجة إلى معجم صغير⁽⁵¹⁾

جدول رقم 01: عناصر الحجم في المعاجم المدرسية

ارتفاعه (سم)	عرضه (سم)	طوله (سم)	عدد الصفحات (ص)	
7.5	15.5	22	1505	القاموس الجديد للطلاب
6.5	14.5	20.5	1307	لاروس المعجم العربي الحديث
5	12	17	1001	رائد الطلاب
3.5	11	15	652	الرائد الصغير
3	13	20	600	المفضل
4.5	14.5	20	816	المعجم العربي الميسر
4	14	20	802	الأسيل
4	17	25	648	الأداء
4	18	25	728	الوايفي
3.5	14	20	687	الوجيز
3	13	20	566	الهدى

جدول رقم 02: ترتيب المعاجم المدرسية حسب أحجامها

المعاجم المدرسية	ترتيبها حسب حجمها (سم3) الحجم=الطول×العرض×الارتفاع
القاموس الجديد للطلاب	2557.5
لاروس المعجم العربي الحديث	1932.1
الوافي	1836
الأداء	1750
المعجم العربي الميسر	1305
الأسيل	1120
رائد الطلاب	1020
الوجيز	980
المفضل	780
الهدى	780
الرائد الصغير	577.5

نلاحظ من الجدول الذي يحدد أحجام المعاجم المدرسية العربية أن:

- المعاجم النطقية ذات أحجام أكبر، مقارنة بالمعاجم جذرية الترتيب، وهذا يرجع - كما رأينا سابقا - إلى تشتت مشتقات الكلمة، وضرورة الإشارة إلى أصلها في كل موضع مما يقتضي ضخامة حجم المعجم.

- لا نكاد نجد معجمين لهما حجم واحد، فلكل منها حجمه الخاص به، في حين أن أغلب المعاجم المدرسية الفرنسية التي تم الاطلاع عليها متساوية أو متقاربة الحجم.

نورد فيما يلي المعاجم المدرسيّة العربية حسب ضخامتها وكبر حجمها:

1. معجم "القاموس الجديد للطلاب" «أكبر حجماً، إنّه ثقيل الوزن، ينوءُ بحمله الكبار فضلاً عن التلاميذ الصغار، إذا اعتبرنا أنه موجه إلى جميع الطلاب بمُختلف مستوياتهم، كما صرّح مؤلفوه في مقدمتهم، مما قد يؤدي بالتلميذ إلى التردد في حمله، وربما التخلي عن البحث فيه. والمتصفح لمتن هذا المعجم يُلاحظ الكثير من البياض، وهوامشه كبيرة والفراغ بين الأسطر والأعمدة ملحوظ، إضافة إلى كثرة مادته. ويمكن إرجاع كبر حجم القاموس الجديد للطلاب إلى أنّ مؤلفيه هم من رُوّاد التأليف في المعاجم المدرسيّة، ومن ثم اعتمدوا كما صرّحوا في المقدمة على معاجم كثيرة قديمة، وضخمة، ومن أسباب ضخامته أيضاً «أنّه يُورد للكلمة الواحدة أكثر من عبارة شارحة أو من شاهد نثري أو شعري واحد، تقليداً لما جرى في المعاجم العربية القديمة،...ولا شك أن ذلك يعملُ على تضخيم المعجم، حيث تستغرق هذه العبارات أو الشواهد مساحات من حجمه ولاسيما كون الشواهد شعرية أو نثرية مُطوّلة، وإذن فالأجدر هو الاقتصار على شاهد أو مثال سياقي واحد قصير... ما لم يكن للكلمة مدلولات مُتعددة..» (52)

2- ويلى هذا المعجم في الحجم معجم "لاروس"، ويعودُ كبر حجمه إلى أنّه معجم نُطقي، إضافة إلى اعتماده على الصور والرسوم (3525 رسماً) و 16 لوحة ملوّنة، و ثراء المادة اللُّغوية التي بلغت 53500 كلمة مُعرفة، لاسيما طريقة الشرح التي تعتمد على الإسهاب في التوضيح، رُغم صغر بنط الكتابة المُعتمدة في تحرير متنه.

3- ويلىه معجم "الوافي" فرغم أنّ نسبة البياض بين الأسطر والأعمدة وفي الهوامش معقولة، وصغر مقاس حروف الكتابة، وفي هذه الطبعة «... اختصرت عدد الصفحات من 1684 إلى 728 بتوزيع المادة في ثلاثة أعمدة في الصفحة الواحدة، بدل عمودين كما أنها اختصرت من قياس الكتاب ليأتي سهل

التناول والحمل»⁽⁵³⁾ إلا أنَّ حجمه لا يزال كبيراً مقارنةً بباقي أحجام المعاجم المدرسية المعتمدة، وقد يعود كبر حجم "الواي" إلى ضخامة المادة اللغوية التي وُضعت بين دفتيه، كما أنَّه قديم التأليف إذ يُعتبر من بين أولى المعاجم التي وُجّهت لفئة المتعلمين من التلاميذ والطلاب.

4- ويحتل "الأداء" المرتبة الرابعة من حيث كبر الحجم، وقد يرجع ذلك إلى نسبة البياض المُعتبرة الموجودة في الهوامش وبين الأعمدة والأسطر، بالإضافة إلى أنَّه معجم نطقي.

5- يلي "الأداء" "المعجم العربي الميسر".

إنَّ صفحاته التي تبلغ 816 صفحة، لا ترجع إلى كبر المادة اللغوية التي وُضعت بين دفتيه، وإنما ترجع إلى «...ذلك البنط المُمدّد العريض الذي طُبعت به حروفه أوتلك الفجوات والمساحات التي تخللت معظم سطوره وكلماته»⁽⁵⁴⁾ إضافة إلى كونه معجماً نُطقي الترتيب.

6- ثم نجد معجم "الأسيل" الذي يُشبه معجم "الأداء" في منهج الترتيب والإخراج، ولا يختلفان إلا في عدد المداخل، بفارق 10 آلاف كلمة.

7- وبعده نجد "المعجم الوجيز"، وهو صغير الحجم مُقارنةً بأحجام المعاجم التي سبقتها، ويرجع ذلك إلى عوامل عدّة منها:

- أنَّه معجم جذري، والمعاجم الجذرية غالباً ما تكون أصغر حجماً، من المعاجم النُطقية، لأنها تضمُّ جميع مشتقات الكلمة في المدخل نفسه، ولا تستخدم نظام الإحالة.

- صغر بنط الكتابة المستخدم لتحرير مادة المعجم.

- أنه مُقسم إلى ثلاثة أعمدة، وحيّز البياض فيه ضيق، وسطوره متقاربة، ممّا أثر في حجم المعجم، وأضعف فاعليته وجعل البحث فيه مُرهقاً للبصر.

8- يلي "المعجم الوجيز" معجما "المُفضَّل" و "الهُدَى" بالحجم نفسه 780

سم³، رغم أنَّ الأوّل نطقي، والثاني جذري، ويختلف كل منهما عن الآخر في أنَّ

الكتابة في "المفضل" واضحة ونسبة البياض كبيرة لاسيما في الهوامش، في حين نجد الكتابة في "الهدى" مُتراصة، ونسبة البياض فيه قليلة جداً.

9- ونجد أخيراً "الرائد الصغير"، وهو معجم مدرسي موجّه إلى تلاميذ المرحلة الابتدائية لذا، جاء في حجم صغير، لأنّ مادته اللُّغويّة مُحددة باحتياجات تلميذ هذه المرحلة التعليمية الأوّلية، والتي تفرض على المؤلف إهمال الكلمات، والمصطلحات التي لا تُجدي التلميذ نفعاً.

نستنتج من دراسة أحجام المعاجم المدرسيّة المعتمدة، أنّ لمقاس حروف الكتابة ونسبة البياض الموجودة في الهوامش وبين الأعمدة والأسطر، وسمك الورق، تأثيراً في حجم المعجم، ناهيك عن حجم المادة، الموضوع بين دفتيه، لذا فمن المُستحسن أن تُستخدم بعض التقنيات الطباعيّة التي تُساعد على تنظيم المادة.

وقد استطاع الزاوي أحمد الطاهر بفضل استخدامه للتقنيات المطبعية المتطورة التخلص من مُعضلة اختلاط المواد، وتداخل العبارات التي كانت سِمَة المعاجم القديمة، وميَّز بين مداخل المواد بوضع نقطة مُشبعة أمام مدخل كل مادة، كما التزم بوضع علامات الترقيم في أماكنها، وكذلك غيّر نظام التشكيل، فاستغنى بحركات الإعراب عن الضبط بالحروف وعن ذكر الموازين أو مفاتيح النطق.

وبهذا تخلّص الزاوي في معجمه الجديد "مُختار القاموس المحيط" من مشكلة التضخيم والتشويش الذي قد يُحدثه كل ما هو خارج عن المتن.⁽⁵⁵⁾

نلاحظ أنّ أغلب المعاجم المدرسيّة العربيّة لا تُسائر التطور الذي عرفته الطباعة، وفنون الإخراج، ولا تستجيب لشروط ومواصفات إخراج الكتب والمطبوعات المختلفة، خصوصاً تلك الموجهة إلى التلاميذ لاسيما الصغار منهم وتفتقد إلى أدنى خصائص الطفولة، ومكوناتها النفسية والفكرية وهي لا تُراعي ميول الطفل، ومداركه ولا تُلبّي حاجياته وطموحاته.

- وأغلب المعاجم المدرسيّة العربية لا تُناسبُ مُستعملها، والصور فيها صغيرة باهتة، بلا ألوان، وغير مُحققة للغاية التي وُضعت لأجلها، إضافة إلى عدم إحكام مسك أوراقها، إذ سرعان ما تتمزق إذا تكرر استعمالها.

إنَّ إخراج المعاجم المدرسيّة العربية لا يزال بعيداً عن المستوى مُقارنة بنظيرتها الفرنسية التي يعتني واضعوها بإخراجها إخراجاً أنيقاً ابتداءً من الغلاف، ويعملون على انتقاء الألوان الجميلة، والطبيعية للصور في الآن نفسه، كما يختارون أحسن وأجود أنواع الورق، ويحرصون على تنظيم المادة وتصنيف المداخل، مما يبين مدى صلاحيتها وجدواها.

يُمكن أن نُرجع تخلف الدول العربية في ميدان الطباعة إلى أنَّ معظمها يعاني من:

- نقص التمويل الذي يُخصَّص لتغطية مصاريف الطباعة والإخراج.

- نقص المعدات في دور النشر، وعدم مواكبتها للتقدم التكنولوجي.

- عدم إشراك المؤلِّف والرسامين في عملية الإخراج الطباعي....، أي أنَّه لا يحدد مُسبقاً شروطاً في الإخراج إلا في حالات نادرة، لا تتعدى بعض الملاحظات التي تكون غالباً بعد الطبع الأول (التجريبي)، والتي قد تقتصر على الأخطاء المطبعية.

- عدم توافر متخصصين في الطباعة، والرُّسوم، والصور وإخراجها، والعارفين بحاجيات التلاميذ، وعلى حد تعبير مدير النشر بدار هومة "...الآلة - عندنا - هي التي تعوِّض هؤلاء، وتعمل كل شيء...".

ثم إن تشغيل متخصصين في الطباعة، وعلم نفس الطفل أمرٌ مُكلف، والهاجس المُخيف بالنسبة لدور النشر هو ارتفاع التكلفة.

ويعود سر نجاح دور النشر الغربية عامة، في تأليف وإخراج معاجمها المدرسية إلى امتلاكها متخصصين في الطباعة وهم على دراية كاملة باحتياجات الأطفال، ونفسياتهم، لذلك نجد المعجميين الغربيين يؤلفون المعاجم لمُختلف

المستويات الفكرية والمراحل الدراسية، واستطاعوا الوصول إلى عقول الأطفال، وأحاسيسهم، وقدموا لهم أعمالاً بكل مهارة، وبكامل الجودة، والدقة، ووافر الجاذبية فجمعوا في أعمالهم ثنائية الفائدة والمتعة.

أمّا الاهتمام بالطفل العربي وبكتبه ومؤلفاته، والاعتناء بطباعتها، فقد بدأ متأخراً مقارنة «...بأوروبا التي سبقت العالم العربي بالتعامل مع الطفل، ودراسة نفسيته، لهذا يُقدمون رسوماً تُحرك النص، وهذا أكثر ما يحرص عليه الأوروبيون بشكل عام.» (56)

ويكاد ينحصر هدف دور النشر العربية في الريح، وربما لذات السبب نجدها تُسرع في إخراج المعاجم، وتكتب على واجهة الغلاف أنه مُوجه لكل الطلاب في كل المستويات التعليمية، والمراحل السنية.

إننا لا نهدف من خلال هذا الحكم إلى التهوين من قيمة المعاجم المدرسية العربية لكننا حريصون على إخراجها في أبهى صورة، وفي أجمل حُلّة، ولا يعني هذا أننا نُسوي بين كل المعاجم المدرسية في تقصيرها، وإنما الإنصاف المشفوع بالتتبع العلمي الموضوعي يقتضي الإقرار بأنها متفاوتة في هذا المجال، فنحن لا ننكر وجود بعض المعاجم المدرسية التي تُساير ما حصل من تطور في الطباعة، وتقنيات الإخراج الفني، والتلوين، والتغليف كـ "المتقن" لدار الراتب و"المجاني المصور" لجوزيف إلياس الذي أخرجته دار المجاني في أجود صورة.

أما البقية فهي مُفتقرة إلى أدنى مميّزات الطباعة الجميلة، والإخراج الفني الراقي، كما تبقى بعيدة عن مضاهاة نظيرتها الفرنسية.

إذا أردنا أن يخرج المعجم المدرسي في أنسب محتوى، وفي أجود، وأجمل حُلّة، وأروع شكل، ويقترب العمل من الكمال، يقتضي أن تتضافر فيه جهود كل من المؤلف (المعجمي)، الرسام أو المصور، والناشر، أي أن نعمل على عقد ثلاثية ناجحة بين قلم المعجمي وريشة الرسّام، وعقل وذوق التقني في آلات الطباعة،

وأي نقص في ناحية من هذه النواحي يؤدي حتماً إلى نقص في المعجم، ومن ثم في استعماله والاستفادة منه.

إنه من الضروري الاعتدال في كل عنصر من عناصر الطباعة والإخراج، فلا تكون الكتابة صغيرة إلى حد استعصائها على القراءة والتمييز بين حروفها، وكلماتها كما لا يجوز أن تكون كبيرة إلى حد تضخم حجم المعجم.

ولا نضع للمعجم المدرسي غلافاً بسيطاً يُكتب عليه عنوان المعجم، واسم مؤلفه، فقط كما لا يُستحسن أن يكون مسرحاً للصور والألوان كيفما جاء واتفق، والأمر نفسه بالنسبة للورق، الذي لا يكون شفافاً إلى حد يسمح ببروز الحروف المطبوعة على ظهر الصفحات، كما لا يُفضل أن يكون سميكاً فيسهل تمزُّقها وتلفها خصوصاً إذا كانت غير محكمة المسك.

وفي الختام نقول أنه رغم أهمية إخراج المعجم المدرسي إخراجاً جذاباً، إلا أنه لا ينبغي أن نبالغ في الاهتمام به إلى درجة إهمال المتن، كما فعل ورثة لويس المعلوم الذين صرفوا جُلَّ اهتمامهم إلى الجانب الشكلي للمُعجم الذي أخرجوه «... في طباعات تجارية مختلفة الألوان والأحجام... لكن ذلك كان... على حساب ضبط مادته والحرص على تصحيحها...»⁽⁵⁷⁾ فضاعت قيمته وانحطت منزلته بين المعاجم جراء التغييرات الخاطئة التي أحدثت فيه «... على يد ورثة لم يُحسنوا التصرف فيما ورثوه.»⁽⁵⁸⁾

الهوامش

(1) الحروف www.qshomali.qsthlekem.edu

(2) بن حويلي ميدني، المعجم اللغوي العربي، ص 384

(3) المعتوق أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ص 254

(4) أجريت هذه الندوة ضمن فعاليات مهرجان الإمارات الثقافى الأول يومى 13 و 14 أفريل 2004م بمركز دى العالمى.

(5) ينظر: ندوة الطفل العربى تصدر توصياتها النهائية www.albayan.ae.com

(6) المعتوق أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ص 254

(7) غلاف الكتاب يجذب القراء ويساهم فى عملية التسويق www.balagh.com

(8) المرجع نفسه

(9) نجيب أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ص 240

(10) غلاف الكتاب يجذب القراء ويساهم فى عملية التسويق www.balagh.com

(11) هزار أحمد راتب وآخرون، المتقن.

(12) ينظر غلاف الكتاب يجذب القراء ويساهم فى عملية التسويق www.bajagh.com

(13) المعتوق أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ص 254.

(14) المرجع نفسه.

(15) المرجع نفسه.

(16) ينظر: الجر خليل. لاروس المعجم العربى الحديث،

(17) ينظر: الحروف [http:// qshomali.qsthlehem.edu](http://qshomali.qsthlehem.edu)

(18) المعتوق أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ص 251.

(19) كل المعاجم التى اعتمدنا عليها، قسّمت الصفحة إلى عمودين عدا "الواي" و "الوجيز" فقد قُسمت إلى ثلاثة أعمدة، ورُبما لذات السبب وردت الكتابة صغيرة جداً. أما المعاجم المفصلة بخط واحد فنجد "القاموس الجديد للطلاب" و "الهدى" و "المعجم الوجيز" و "الواي" و "لاروس"، فى حين نجد المعاجم الأخرى غير مفصلة بخط.

(20) الخطيب أحمد شفيق، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة ص 624.

(21) ينظر موسوعة. Microsoft Encarta 2003.

(22) الخطيب أحمد شفيق، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ص 621.

(23) الخماش إبراهيم خليل، الرسوم التوضيحية ومكانتها فى المعجم، اللسان العربى العدد

22 1984، ص 129.

(24) المعتوق أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، ص 217.

(25) توجد - على سبيل المثال -أنواع كثيرة من الطيور تندرج كلها تحت جنس واحد la classe homogène.

(26) Debove, Josette Rey, dictionnaire d'apprentissage : que dire aux enfants ? Le français dans le monde, recherches et applications, Août- Septembre, Paris, France, Ediel 1989, P19.

(27) الخطيب أحمد شفيق، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ص 621

(28) صور معجم المفضل هي (الاسكا) كتبت دون همزة قطع، وهي صورة لجبال مغطاة بالثلوج، (بومة)، (جزار)، (جسر)، (حصان)، (دراجة نارية)، (ذئب الأسكا)، (رياضة الملاكمة)، (زرياب)، وهي صورة لطائر، (شاطئ هاواي)، (صقر)، (صبي أمريكي)، (طفل)، (ضبع وضفدعة)، (طائرة مروحية)، (ظفيرة) وهي نبات بري، (عقاب)، (فراشة، فهد الأدغال)، (قارب شراعي)، (كوب زجاجي)، (منطاد)، (نهر)، (هونغ كونغ)، (وحيد القرن). ولا نجد في باب: الخاء، والسين والغين، والياء صوراً.

(29) ينظر : هزار أحمد راتب وآخرون، المتقن.

(30) الخطيب أحمد شفيق، من قضايا المعجمية العربية المعاصرة، ص 621

(31) المرجع السابق، ص نفسها.

(32) الخماش إبراهيم خليل، الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم ص 129

(33) ينظر: اللون الأخضر في القرآن الكريم . www.amaneena.com

(34) بن حويلي ميدني، المعجم اللغوي العربي، ص 351.

(35) مجلة التربية الفنية، " نظرية اللون " www.fnea.net.

(36) المرجع السابق، ص 351

(37) المرجع السابق، ص 348

(38) ينظر: موسوعة 2003 Microsoft Encarta

(39) ينظر: اللون الأخضر في القرآن الكريم www.amaneena.com

(40) www.testcouleur.com " la couleur bleu "

(41) ينظر: "اللون " qshomali.qsthle-hem.edu

(42) La couleur rouge " www.testcouleur.com

(43) ينظر: اللون الأخضر في القرآن الكريم www.amanneena.com

(44) المرجع نفسه.

(45) يقاس الحجم ب: الطول × العرض × الارتفاع (السُمْك) ووحدته السنتيمتر المكعب (سم³)

(46) نجيب أحمد، أدب الأطفال علم وفن، ص 161

(47) فؤاز حكمت كشلي، اهتمام اللبنانيين بتيسير المعجم العربي، ص 154

(48) المعتوق أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، ص 226

(49) مثال ذلك كلمة "قط" هي مشتركة بين المجالين المعجميين للصغير والكبير، لكن شرحها في معجم الكبار «المنجد في اللغة والاعلام»: «القط ج قطاط وقطط، واحدة (قطّة) ح (السنور)»، ونجد الكلمة نفسها في المعجم المدرسي، بمعلومات أكثر مع الاستعانة بالصورة، ففي «القاموس الجديد للطلاب»: «القط حيوان أهلي أليف من الفصيلة السنورية، يعيش معنا في المنازل (م) قطّة (ج) قطاط وقططة، كما نجد صورة توضيحية للقط.»

(50) Debove, Josette Rey, dictionnaire d'apprentissage ; que dire aux enfants, P 18 – 19

(51) ينظر، أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص 44 - 45

(52) المعتوق أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ص 210.

(53) البستاني عبد الله، الوافي، مقدمة الناشر، دص

(54) المعتوق أحمد محمد، المعاجم اللغوية والعربية، ص 194.

(55) المرجع السابق، ص 151 بتصرف.

(56) غلاف الكتاب يجذب القراء ويساهم في عملية التسويق. www.balagh.com.

(57) الصوري عباس، في الممارسة المعجمية للمتن اللغوي، ص 17

(58) ملازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1399 هـ 1979، ص

165، نقلا عن الصوري عباس، المرجع السابق، ص 17